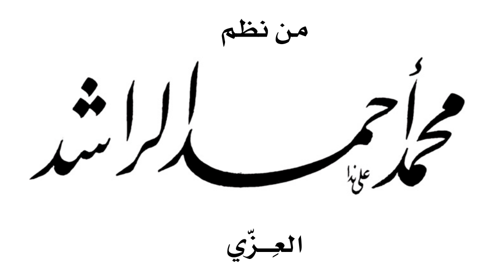

محمد أحمد الراشد
صُداح داعية

صُداحُ داعية

وهي القصيدة النونية المئوية العِـــزِّيـــة
في العقائد والقِيَم والموازين والمفاهيم والخطط الدعوية

من نظم



العِـزّي

مع شرح موجز لمراميها
كتبه الراَشد أيضاً

محرم الحرام ١٤٣٢ هـ
أوائل ٢٠١١ م

في القاموس المحيط : صَدَحَ الرَجُلُ والطائر ، صَدْحاً وصُداحاً: رَفَع صوته بغِناء
والمحتوى يوافق العنوان ، لأنه صِيغَ شِعراً

بسم الله الرحمن الرحيم

" مغزى لوحة الغلاف "

التنافرُ بين الحركات الإسلامية
هو الذي يُديم وقوفها
فيتولد انعكاس لها بنشرها
ويتكون لها ظل
يتيح رؤيتها من زوايا أخرى
وهي إطارات مُتوازية
تستقيمُ تحت قَمَر الإيمان
ولكن البقعة الحمراء لابُد منها
مهما اخضرّ المحيط

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

مُـقـدمـــة

□□ هذه القصيدة : محاولةٌ لصوغ المعنى الدعوي الإسلامي شِعراً ، وعلى المذهب القديم الجزل في التزام القافية والوزن وصحة اللغة العربية ، جرياً مع الظاهرة الذوقية في الحياة الإنسانية ، وخَلجات النفس في شعورها الجمالي ، عندما يتحول الكلام المنثور إلى لحن مُنسابٍ في إيقاعٍ متكرر ، يهز الوجدان ويأسر القلب ، ويدعه ينفعل مع المعنى بعمقٍ أكبر وقوة نافضة ، فيكون المعنى أكثر إطراباً وتأثيراً ووعظاً ، ويسهل على من يعتقد صوابه ويؤمن به أن يحفظه ويستحضره مراراً ، وأن يلهج به ويدندن حوله ، ناصحاً ذاته ، ومُبشراً به الآخرين .

● فانطلاقاً من هذه الظاهرة الحيوية : كان نظم هذه الأبيات ، لتكتسب أهمية مضاعفة في عصر المادة الطاغية ، ولهو الكمبيوتر ولغو الإعلام الرّخيص .

وتحقيق النَمَط العاطفي من خلال الأداء الشعري هو ركنٌ في تربية الأصالة التي تليق للدعاة إذ اكتالوا قبلها شيئاً من علوم الدين ، وبناء الشخصية الإيمانية يلزمه هذا السمت من الأدب البلاغي ، والفن اللغوي ورهافة الإحساس ، وبهذه الأنفاس صيغت هذه القصيدة ليحفظها الجيل الإسلامي العالمي الجديد أينما كان ، ثم لِيصدع بمعانيها ، ملتزماً مبانيها ، ورَويّها الذي غلبت عليه السلاسة والبساطة والإنسيابية ، إلا في مواطن قليلة ، بسبب الغرض الفكري العلمي السياسي الذي يستعمل من الإصطلاحات ما فيه فخامة وصلابة ، ويقرع الآذان ليثور القلب ويتقد العقل ، مما هو مغاير لشعر الغزل والغرام والوصف ، وميله إلى العذب الرخو السهل .

● والقصيدة دعوية شاملة ، وعامة لا تختص بقضية إسلامية واحدة أو قطر مُعيّن ، سوى ما كان فيها من تعريج على ذِكر الجهاد العراقي وأسماء بعض منظماته ، وتخليد أسماء سيِّديْنِ من سادة شهداء العراق ، وكل ذلك ليس من

التخصيص ، بل لأن الجهاد العراقي هو تجربة الأمة الإسلامية كلِّها بعد تجربة الجهاد الفلسطيني الأغرّ ، ومرحلته مرحلة متميزة في سياق جهاد الأُمة ، مع تعتيم إعلامي عاكسه ، أوجب التغنّي بمناقبه ، تعويضاً ، وتذكيراً لغافلٍ نسي فضله في تحويل وجهة أميركا نحو الإنكفاء بدل العولمة الغازية المستكبرة .

● وهُنا ، في مثل هذه القصيدة التي هي فِهرس الدعوة : لا تُطلب وحدة البناء الموضوعي ، لأنها أُريد لها أن تكونَ تقرير إحصاء للموازين والقيم والمناقب على طريقة السّرد والحصر ، وعامل الوحدة الموضوعية فيها هو تعبيرها عن الإسلام والدّعوة والجهاد والأخلاق والعقيدة ومتطلبات كل ذلك .

● وتبركاً : تابعت في استهلالها قصيدة الشافعي المشهورة : إنّ لله عِباداً فُطَّنا ، وما عدا هذا الإستهلال فإنّـها في بقيتها كلّها مستقلة كل الإستقلال عن أبيات الشافعي ، وليست هي معارضة لها ، ولا ناسجة على منوالها ، سوى في العروض والوزن .

● وحصل استعمال كلمات تحتاج الشرح غريبة الجَرْس على أسماع الدعاة ، وليس ذلك من تعمّد الإغراب ، بل لأني أُريد أن أُضيف هذه الكلمات إلى الرصيد اللغوي الدعوي وأضعها في الاستعمال كاصطلاحات تُثري فقه الدعوة ، من مثل كلمة " رِبْـوة " للجمع الذي يبلغ عشرة آلاف ، و " ثُـبات " للأرهاط الصغيرة العشارية العدد ، وهو تعبير قرآني ينفي عنا صفة الميل إلى الغريب ، ما دام لفظاً متلوّاً ، وكذلك فِعلُ " غَـلَنَ " ، وهو الصيرورة إلى الغلواء والفكر المتطرف .

● وإمعاناً في تفهيم مقاصد القصيدة وجماليات الأخلاق الأيمانية وسمو الروح الجهادية ومناقب الجماعات الدّعوية : فإني وضعتُ شرحاً موجزاً لأبياتها ، وخرّجتُ أُصول لغتها ، معتمداً على ما أورده الفيروز آبادي في القاموس المحيط ، ولكن من خلال طبعته المرتبة وفق أوائل الحروف ، وهي طبعة جديدة جيدة صدرت عن دار الحديث بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م وحققها أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، وبعد إتمامي للشرح وجدتُ أنه صار وثيقة توجز علم فقه

الدعوة في بلاغة ، ومقالة مستقلة تنافس ذات القصيدة في الأهمية ، وذلك من فضل الله الوهّاب .

● وأنا أتوقع إن شاء الله رواجاً حسناً لقصيدتي هذه ، في كل مجتمعات الدعوة العالمية ، حتى بين مَن يعرف العربية من غير العرب من الدعاة ، لما فيها من لَذة بلاغية ، وتراكيب مجازية تدغدغ القلوب الراجية ، وما فيها من عَدلٍ يعترف بمناقب كل الجماعات ، وما حوته من تسجيل تاريخي توثيقي وتحليلي للجهاد العراقي ، كما أتوقع دخول عدد من نبلاء الدعوة على الخط ، يتوسعون في شرح معاني هذه النونية المباركة المعاصرة التي تولت التذكير بنونية ابن القَـيّم الذائعة الصيت ، مع انفصالها عنها كُليةً في الغرض والمعنى والمبنى .

● وأما ما كان من ذِكر براءة الدعاة والدعوة من القول بالإمامة والعصمة ، ومن القول بتضعيف الصحابة ﷺ ، وأمثال ذلك : فإنما جاء من باب تقرير العقيدة السُّنية التي هي عقيدة الدعوة ، وليس من باب إثـارة نعرةٍ وتهيـيج خلاف ، ولذلك لم أتورط بلفظ نابٍ ، أو مَسبّة أو تحرّش وقول غليظ ، بل صرّحت أن من يبرأ من تلك العقائد فإن عنوان الدعوة العريض يَسَعه ، ويكون مِنّا وإن احتفظ باسم آخر ، والدّعوة تجمع ولا تفرّق ، ولكن أهم مهامها : تعليم الناس عقيدة التوحيد الخالص والسُنن الصحيحة المأثورة عن النبي ﷺ كما رواها أصحاب المدونات الحديثية ، وبالصياغة الإجمالية التي وضعها الطحاوي ، وأمر العقيدة لا حياء من ذكره بصراحة ، ولا يجوز إخفاء معتقدنا مداراة لطائفة تجاهر بضده ، بل إن ترويج البدعة يقتضي بالمقابل ترويج العقيدة السّنية المأثورة ، إنما باللطف والوداعة واللفظ العفيف ، وهو ما حافظت عليه القصيدة .

● وأتقدم بالشكر الوافر إلى أخي في الله الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت ، فإنه أعانني بمراجعة القصيدة والشرح ، وعملت بمعظم ملاحظاته القيمة التي اقترح عليّ فيها بعض التبديل والتحوير ، وأفتخِرُ أنه هَنأني (على الجُهد الرائع في القصيدة) كما كتب إلي .

● وليستحضر الناقد أني لست الرُصافي ولا شوقي ، فضلاً عن أكون المتنبي ، وإنما أنا متشبّه بهؤلاء القوم أصحاب الشاعرية ، والتشبه بالكرام جميل ، فليكن النقد لطيفاً ، وإنما أردت التعليم والوعظ ، وصياغة قوالب تعبيرية موزونة ، تذهب مذهب الأمثال والقواعد ، ورددها أفواه الدعاة في كل مكان من عالم الإسلام عهداً بعد عهد كشواهد وشعارات توجز الفحوى الكبيرة في جُمَلٍ صغيرة ، يسهل حفظها ، ويتلقفها العامي من لسان المثقف ، ويستعين بها الخطيب والكاتب في تبليغ المعاني ، وتكون محور منهجية المربي في تلقين تلامذته مبادئ الدعوة وصفة الفكر الوسطي ، وحدود العقائد ومنهجية الإنطلاق ، ثم الإنفتاح ثم المنافسة ، وما يَـتداوله الدعاة خلال كل ذلك من طرائق التزكية القلبية ، والتصفية النفسية ، وقد حصلت هذه الأغراض بحمد الله في هذا المتن بدرجة كافية تقارب الإتقان ، وحسب الشاعر أن يأتي ببيتٍ واحد ، يبدع فيه ليُـعَـدّ في الشعراء ، كمثل إبداع عمر أبي ريشة في بيت " رُبّ وامعتصماه انطلقت " ، وأما مطالبته بالإبداع في كل بيت فذلك إعنات وإحراج .

● ثم العذر قائم لي في اضطراري في مواضع قليلة إلى تسكين آخر حرفٍ من كلمة وحقه التحريك نحوياً ، وذلك جائز في العَروض عندما تكون الكلمة مفصحة عن معنى لا تؤديه كلمة أخرى والوزن يأبى غير التسكين ، ولم ينج شاعر من ذلك ، وأمّا الإقواء المعيب فهو تخالفُ القوافي برفع بيتٍ وجرٍّ آخر .

فدونكم أيّها الأخوة الدعاة هذه القصيدة الراشدية العزّيـــــة وشرحها الوجيز ، وتداولوها كيف شئتم ، حفظاً ورواية وتعليماً لأهاليكم وأولادكم وأصدقائكم ، وهي جد نافعة - بإذن الله – لناشئة الدعوة وجيل شبابها الميمون ، وللمجاهدين على وجه الخصوص ..

والحمد لله الذي بنعمته وإلهامه تمت الأبيات الصالحات ..

والتوفيق حليف من يصلي على النبي المجاهد ، عَطّرَ الله ذكره الكريم بعطرٍ شذي من صلاةٍ وتسليم ❑❑❑

محمد أحمد الراشد

أول المحرّم عام ١٤٣٢هـ

إنّ لِلـــــــــّهِ دُعـــــــاةً فُــطَـــــنا .... (١)
عَمَّـــــروا الـــــدنيا وجابـــــوا المُـــــدُنا

● هذا استهلالٌ يتقصد التبرّك بشعر الشافعي وقصيدته المشهورة :

إن لله عباداً فُطَّنــــا　　　طلقوا الدنيا وعافوا الفتنا

وإشعار القارئ والسامع أنها على نفس القافية والوزن .

ولأن فقه الناس قد ضعف عما كان عليه في زمن الشافعي : عورض المعنى السلبي الذي ينطبع في أذهان الناس عن طلاق الدنيا بذكر منقبة أهل الفطنة بتعميرها وتشيـيد المدنية والحضارة الإسلامية ، فالشافعي أراد إخراج حُب الدنيا من القلب ، ولم يُرد تركها ، ولكن الاستنتاج الخاطئ للأجيال المتأخرة ذهب إلى هجرها ، فصار لزاماً التذكير بالواجب الإسلامي في عمرانها ، ولأن هؤلاء أصحاب الفطنة دعاة صاروا يجوبون المدن ، مبشرين ومنذرين بمعاني الدعوة .

على ذلك فلا معارضة ، وإنما شرحنا حقيقة مقصد الشافعي ، وجَـوب المدن يذكّر بالمغزى الذي تحويه الآية الكريمة : " **وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى** " .

رَوَّجـــــوا عِـــلماً بميـــزانِ التُّقـــى .... (٢)
عَمَّـقـــوا وَعْــيـــاً ، فجـــــازوا المِحَنَـــا

● هؤلاء الدعاة نشروا العلم الإسلامي بطريقة تربوية تقرنه بموازين التقوى وغرسها في قلوب المتعلمين ، وليس كالتعليم المدرسي الجاف ، ثم أضافوا إلى ذلك مبادئ الوعي السياسي والتنظيمي والإجتماعي وفهم حركة الحياة ، فاستطاعوا تجاوز المحن المتنوعة ، فجهلُ الناس محنة ، وأفكار الجاهلية محنة ، وليست سجون الظالمين هي المحنة فقط .

أصْــغَتِ الأسمــاءُ مِــنهم والقلــوبْ .... (٣)
إنْ فَمَــاً يومــاً بــذِكْرٍ دَنْــدنا

● وظل الإخبات يهبط بقلوبهم عن منازل الكبرياء والغرور حتى تعلّقت قلوبهم وأسماعهم بذكر الله تعالى تماماً ، فأصبحوا يُصغون لكل واعظٍ يردّد ذِكرَ الله تعالى وإن لم يكن من جماعتهم ، فهم يقبلون الحق كائناً من كان الناطق به .

زاولــوا الإصــلاحَ في يــومِ الخَلَــلْ .... (٤)
حَفِظــوا الوُجهــةَ عنــد المُنْحَنــى

● وذلك أكسبهم قاعدة إيمانية علمية قوية التمييز بين الحق والباطل ، وبها أصلحوا بين الناس ، وأقاموا ما أعوج ، وسدّوا الثغرات ، واستطاعوا حفظ وجهة سير الأمة الإسلامية عند مفترقات الطرق ، وبقيت الأمة تدور حول المركز القرآني ، ولم تستطع القوة الطاردة حرف الأمة عن المدار والولاء والمسار .

أُدْعُ بــالتفويضِ أن يَغْمُرَنــا .... (٥)
الهُــدى يَــسكُنُ قَلبــاً سَــكَنا

● بعد المقدمة تدخل القصيدة في أول فصل من فصولها ، وهو فصل يختص بالتزكية الروحية وأخلاق الإيمان ، وكأن أعلاها في مذهب الراشد : التفويض إلى الله تعالى في أمورنا كلها ، اتباعاً لمذهب الإمام البخاري ، كما في رسالة " نحو المعالي " ، فالله هو الولي الرحيم ، والتفويض ينتج السكينة ، وإنما يستقر الهدى في القلب الساكن المطمئن .

صَــفحةُ المــؤمنِ شُــكراً أثمَــرتْ .... (٦)
إذ كِتــابُ الغَــرِّ مَملــوءٌ خَنــا

● وأخلاق الإيمان ومُجمل الهُدى: يُثمران الشكر لله تعالى ، والشكر يترجم الإيمان كلَّه ، ولذلك سُمّيَ الإلحاد بالتجديف الذي هو جحد الشكر ، أمّا كتاب المغرور الجاهلي فقد امتلأ فُحشاً وغدراً.

وابتهــــاجُ الـــــروحِ إنْ لاحَ الرِّضــــا .... (٧)

يُـــسْعِدُ العَبَـــدَ هُنـــاك وَهُنـــا

● وإذا أحسن العابدُ التفويض والشكر : تبدأ بوادر رضا الله عنه تلوح له بين آونة وأُخرى في صورة توفيق وخواطر رحمانية وإلهامات علمية ، فتفرح روحه وتطرب ، وتستولي عليه حالة من الإبتهاج ، تكون فيها سعادته هنا ، أي في الدنيا ، وهناك ، أي يرجو أنها إن دامت له نال السعادة في الآخرة أيضاً .

تَـــسْطعُ الأرواحُ نُـــوراً إنْ صَـــفَتْ .... (٨)

عـــالِمُ الـــنفسِ بجـــزمٍ بَـــرهَنا

● وعندئذ يحرص أكثر على تصفية روحه ودواخله من الأوساخ والحَسَد والكبرياء والطّمع ، حتى يقارب ، فينبعث من قلبه نور يهديه الطريق ، ويراه الآخرون بقلوبهم فيزيدهم تمييزاً لطريق البر والحق ، وعلماء النفس الإيمانيون لهم براهين على صدق هذه الظاهرة ، والشّواهد كثيرة في شكل قصص متداولة في أوساط المتعبدين ، ولكن فرويد حجبه كفره عن ذوقها وتمييزها .

سُـــــؤْدَدُ المـــــرءِ انتـــــصارٌ أوّلٌ .... (٩)

في زوايـــا بـــاطِنٍ يُغـــرى مُنـــى

● في ترتيب القاموس المحيط للفيروز آبادي/ ٨٢٠ : السؤدد : السيادة ، فسيادة المؤمن وما يلحق بها من أمجاد ومفاخر إنما تكون بعد تحقيقه لانتصار حاسم على إغراء الشيطان في دواخله النفسية ، يغريه بالأماني الكاذبة ، فمن انتصر داخلياً : انتصر خارجياً بعون الله .

رُوحُ هـــــذا الـــــدينِ لا يَعْرِفُهـــــا .... (١٠)

مَـــنْ سَـــهَا ، ثُـــمَّ ببَيَـــعٍ غُبَـــنا

● وهذا المعنى من روح الدين الإسلامي التي لا يذوقها السّاهي الغافل الناسي الذي يعقد الصفقات الخاسرة دائماً بأن يشتري عَرَض الحياة الدنيا الفانية ، ويبيع أجر الآخرة ، أي في بيوعه الفكرية والسياسية .

عِـــش صـــريحاً مـــعَ نَفْـــسٍ حُـــرَّةٍ .... (١١)
بـــئسَ صُـــعلوكٍ لِـــذاتٍ أرْهَنـــا

● وسبب الخسارة : عبودية النفس للشهوات ، ولذلك فإن النصيحة لك لتفوز أن تعيش مع نفس حرّة لم يستعبدها الشيطان ، وأما ما ترى من عمل الصعاليك الذين يرهنون ذواتهم عند غيرهم من ظالم وغني جاحد فهو عمل منحط ، وهم إلى بؤس في النهاية ، مهما رأيت من أموال في أيديهم أو سلطة يستخدمونها ، لأنهم عبيد قبلوا التخلي عن الذات الإنسانية العلية وأودعوها رهناً عند آدمي مثلهم ، وإنما اللّذة : لذة الحرية .

ســـاحَةُ الـــنَفْسِ عَـــريضٌ شـــأنُها .... (١٢)
تَـــزْكُ طِيبـــاً فَتعـــافُ الآسِـــنا

● كل ذلك هو بعض معنى التكريم الوارد في آية " **ولقد كرّمنا بني آدم** " ، وبعض خبر علم النفس الإيماني ، وهذه النفس عجيبة ، وشأنها واسع جداً ، ومن نعمة الله عليها أنها إن طابت وتعففت وآمنت : يودع اللّه فيها سليقة ترك ما هو نتن .

تلعـــبُ الأهـــوا بهـــا إنْ أُرسِـــلَتْ .... (١٣)
إنّمـــا اللاجـــمُ مَـــسْقِيُّ الهَنـــا

● ولذلك كان مفتاح سياستها : السيطرة عليها كما يسيطر الفارس الكريم على الفرس الأصيلة باللجام ، وأمّا الذي يمنحها الحرية فإنّ الأهواء تغلبها وتلعب بها ، إذ اللاّجم يسقيه الله شراباً طهوراً .

وفي ترتيب القاموس/ ١٧١١ : الهنيءُ : السائغ الصالح من الطعام ، ومن ذلك : الهَناءة ، وحصل الحذف هنا لضرورة الوزن .

مبــدأ الأعمــالِ : نَـشْرُ الفِكــرةِ .... (١٤)
ثُـــمَّ نَبْنيـــه نِظامـــاً أمْتنـــا

● وهذه بداية فصل آخر في القصيدة عن مراحل العمل الدعوي وطرائق التعامل والاهداف الدعوية ، فالخطوة الأولى في ذلك : نشر الفكر الدعوي الإسلامي بكل الوسائل الممكنة ، فإذا استجاب الموفقون : نشرع في بناء التنظيم المتين ، لأن الدرب طويل ويستلزم أنواعاً من التخصص .

صَـــفْوَةٌ صُـــلْبٌ بِناهـــا مُـــسْنَدٌ .... (١٥)
قَـــدَّمَتْ فَهـــمَ القُـــرآنِ ثَمَنـــا

● وجوهر هذا التنظيم : تربية مجموعة من الدعاة بتربية عميقة وتفهيمها القرآن الكريم جيداً ، وجعلها تعيش في ظلاله ، فتكون هذه المجموعة هي الخلاصة والصّفوة والقاعدة الصّلبة المستندة إلى إيمان يقيني خالص ، ونجعل منها العمود الفقري للتنظيم ، ونختار منها القيادات ونقباء العمل ، ويكون إعدادها مستمراً لماشاة التوسع في الإنتماء .

حِرصـــها : إحيـــاء سَـــمْتِ الـــسَّلَف .... (١٦)
تُـــوْدِع التوحيـــدَ قلبـــاً أذْعنـــا

● هذه الصفوة تحرص على إحياء طريقة السلف الصالح الأول وهديه في الموعظة والتربية ، كمثل الحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل ، وأول ذلك : تصفية التوحيد من كل بدعة كبيرة وصغيرة ، وإيداعه قلباً مذعناً يستشعر عمق العبودية لله رب العالمين .

أيُّ حَيْـــدٍ عـــن معـــاني العَـــرَبِ .... (١٧)

يَـــكُ لَغــواً وابتـــداعاً شـــائِنا

● وآلة التمييز في ذلك بعد فحص صحة سَنَد الرواية : لغة العرب ، فإنّ نصوص الإسلام صيغت بها ، وأي انحراف عن المعنى المقصود في اللغة العربية ، هو ابتداع معيب نعدّه لغواً مهما مالت إليه العاطفة التي من شأنها الطرب للرمزيات ، وفي القاموس/ ٩٠٨ : شانه يَشِينُه : ضد زانـه .

دَعـــوةٌ تُنـــشُرُ سَـــمْتَ العَمَـــلِ .... (١٨)

تجمـــعُ الخِـــبراتِ ، تـــرُبي شـــأنَنا

● ومن خصائص الدعوة التي ترجو النجاح : أن تعتـمد التربـية على العمل والإنتاج ، فقد كثر القول ونحتاج التطبيق ، وعلمتنا التجارب أن نتوسع ما استطعنا في جمع الخبرة والخبراء في كل فن وعلم لنسيطر على الحياة ويرتفع شأننا ، وندفع الشباب لدراسات التخصصات العليا من أجل تكوين أمة إسلامية قوية حضارية المدى .

يَـــصنعُ الـــرقمُ الحيـــاةَ الحاضِـــره .... (١٩)

فَلْنَقُـــدْ " فوتونهـــا " تَخـــضعْ لَنـــا

● والآن وصل العلم إلى أعلى المنازل ، فصار هذا العصر عصر الرقميات والكمبيوتر والموبايل والبث الفضائي ، وكل ذلك صنعته فيزياء التحكم في الفوتون الضوئي وأكمام الطاقة ، ويشاء الله أن يجعل ذلك بيد غير المسلمين ، وإذا أرادت الدعوة النجاح فإن عليها أن توجد جيلاً مسلماً من علماء الفوتون والكم ، وسلسلة متكاملة من المعامل ، وهذا يقتضي نشاطاً دعوياً تجارياً ومالياً وصناعياً ، هو بدوره يحتاج الغطاء السياسي الفكري الإعلامي ، وبذلك حصل الشمول في الخطة .

إبـــنِ بالحُـــــبِّ عَلاقــــاتِ الـــوَلا .... (٢٠)

إقْبَـــلِ النُـــصرةَ مِمّـــنْ عاوَنـــا

● وهذا واجب جبار لا تستطيعه مجموعة الدعاة لوحدها ، ولها طريقان للتعويض وإنجاز المطلوب : تحصيل الولاء للدعوة وخطتها من أناس لم ينتظموا ، ببذل الحب لهم ، ثم ثانياً : نقبل النُصرة من بعض قادة الحياة السياسية والصناعية إذا هداهم الله لمعاونتنا من دون هيمنة علينا ، وهذه أبرع فكرة انتبه لها حزب التحرير ، وعنهم نأخذها .

في شـــــروطٍ حَـــــدَّدَتها سِــــيَرٌ .... (٢١)

قَـــد تَـــمِيْزُ العَـــدْلَ عَمّـــنْ داهَنـــا

● إنما هذا عنوان عريض وإجمال يحتاج التفصيل والشرح ، وقد وضع الفقهاء العديد من الشروط لقبول ولاء من يوالينا وقبول نصرة الكبراء والحكام ، وأخذها الفقهاء من وقائع السِيَر ، جمع سيرة ، وهي الأحكام المستنبطة من خلال أفعال النبي ﷺ في غزواته ، وبها نـُميّز الصادق عن آخر مداهنٍ يتملق ليتسلّق ، وكتاب شرح السِيَر الكبير للسرخسي هو العمدة في ذلك ، والسبب أن الحذر هو أمر فِراسة وحكمٌ ظني ، والله فقط يعلم سرائر القلوب وما تضمر ، وليس لنا إلا الأخذ بالظاهر ، لكن قد نحتاط فنتوقف من دون تصرف يضر الذي احتطنا منه .

تَــمِيز العدل : أي تعزله وتفرزه ، كما في القاموس/ ١٥٦٧ .

نُـــضمِرُ الحُـــبَّ لِكــــلِّ الأُمَنــــا .... (٢٢)

نَـــرفضُ الـــتكفيرَ ، والأوْلُ غَنــــا

● إنما فقه الحذر هذا لا يسوغ الوسوسة ، بل نضمر حُب كل الأمناء من المسلمين الذي نرجح صدقهم ، ونرفض تكفير أي مسلم إلا ببرهان ، ونبرأ من بدعة الخوارج القديمة وممن يحييها الآن ، ونلجأ إلى الأوْل في التعامل ، أي إلى

السياسة ، إذ فيها كِفاية وغَناء ، أي تغني عن التكفير ، ومن السياسة : التأويل للشبهة ، ودرء الحدود بالشبهات .

قال في القاموس / ٨٣ : آلَ الملك رعيتَه إيالاً : ساسهم ، وآل على القوم أوْلاً وإيالاً وإيالةً : وَلِيَ ، وآل المالَ : أصلحه وساسه .

فالدعوة على ذلك تساير الناس وترى ما هو الأصلح لهم ولها ، ولا حاجة لقطيعة وتوتر ودماء وتخوين وتكفير ، فالأصل حب كل مسلم ، والشفقة على العاصي ، والإستثناء يكون بدليل قطعي .

مَـــــذهَبُ التُهمـــــةِ وهْـــــمٌ باطـــــلٌ .... (٢٣)

يمنـــــعُ التأصـــــيلُ فِكـــــراً غَلَنَـــــا

● غَـــلَــنَ : بالتحريك : أي صار إلى الغلو ، وهو الغلوان في الأمر أو الغلواء فيه ، كما في ترتيب القاموس / ١٢٠٠ ، وهو فكر الغلو المبتدع الذي يعكّر على طريقة الدعوة السمحة في التبليغ ووعظ الناس ، وأرى أن يتداول الدعاة هذا الفعل (غَـلَــنَ) في لغتهم الإعلامية ، والفهم الأصولي الصحيح يذهب إلى الجزم بخطأ تخريجات فكر الغلو ، وما فيه من اتهام عامة المسلمين بالكفر .

إنّ في التأويـــــلِ مَـــــنْدوحٌ لنـــــا .... (٢٤)

أدبُ الــــسُنّـــــةِ يَـمْنَـــــعُ ظنَّـــــنا

● أي أن الصيرورة إلى تأويل أفعال المسلمين والتماس العذر لهم ودرء الحدود بالشبهات التي تمنع الجزم بكفر العصاة فيه سعة لنا وفسحة نرجو أثناءها توبة المسلم ، هذا معنى المندوح هنا ، والسبب أن قضية التكفير معظمها يستند إلى ظن محض لا يبلغ اليقين ، ولذلك اشترط الفقهاء منح المهلة وتكرار الإستتابة مراراً من قاضٍ عدل يحاجج الذي اشتبه عليه الأمر حتى يتوب ، وليس هو حكم شباب أغرار لا يحاورون من يتهمونه .

فَـــدمُ المــــسلمِ صـــــونٌ عِنــــدنا .... (٢٥)

لازمٌ : فتـــــوى إمـــــامٍ أعْلَنــــــا

● ونتيجة التأويل ومنع الظن : أن يكون دم المسلم حراماً لا نسفكه إلا ببرهان جازم يصل حد اليقين ، وهذا يكون من إمام فقيه متعمق أولاً ، ثم من فقيه أعلن اسمه لنعرفه ونميز جدارته للحكم على الناس ، وليس أن يقول الأغرار : حكمت محكمتنا بقتل فلان ، ولا ندري من هم حُكامها ودرجة علمهم ، ولا الحق الذي يخولهم الحكم ، ولذلك كان من قواعد الدعوة أننا " **دعاة لا قضاة** " .

إمـــــرةُ الأحـــــرار قَـــــدْ نَطلبُهـــــا .... (٢٦)

يَــــدفعُ النــــاسُ جَهــــولاً عاهِنـــــا

● العاهِن : هو الضعيف والمسترخي الكسلان ، كما في ترتيب القاموس/ ١١٥٧ ، فجاء استعماله هنا لعموم الضعف الإداري والأخلاقي ، والمراد أن الوعي العام لدى جمهور الناس فيه اختلاط ، وأنهم لا يستطيعون تمييز الثقة إلا في النادر ، بل تأسرهم الدعايات ، ولذلك ينتخبون غير المكافئ لمهمة الحكم ، فمال الدعاة إلى تجويز ترشيح أنفسهم والتصدي للإمارة ، لا حُباً لها ، بل لخدمة الدين ونفع الناس .

إنْ نَقُــــدْ سُــــوْحاً بفــــنِّ الــــسيطره .... (٢٧)

بعلــــــومٍ إثْـــــرَ إعـــــلام الرَّنـــــا

● علم السيطرة علمٌ في غاية الأهمية ، يتيح ضبط الأعمال الكبيرة إدارياً وإنتاجياً وحسابياً ، والإشارة هنا إلى أن الدعاة إذا استعملوه في قيادة ساحات الحياة كلها ، من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ، ثم أردفوا ذلك استعمال علوم الفيزياء والكيمياء وأنواع الهندسة من خلال منهجية واقعية ، وأضافوا إلى ذلك بناء إعلامٍ مرئي لهم : فإن التمكين يكون نتيجة طبيعية لذلك ،

واقترح الأديب علي الجارم استعمال لفظ " مَــرناة " للتلفزيون ، وقال صاحب القاموس/ ٦٧٥ : الرّنا : لهوٌ مع شغل قلبٍ وبَصَرٍ وغَلَبة هوى ، وقال أيضاً : ما يُرنى إليه لحُسنه ، وبالضم والمد : الصوت والطرب ، وكل ذلك متحقق في القنوات الفضائية الآن التي يجب على الدعوة أن تجيد استعمالها ، فإن الإعلام أصبح وسيلة مهمة من وسائل التمكين .

يَـــرِدُ الـــتمكينُ مِـــن غَـــيرِ دِمـــا .... (٢٨)

بـــسلامٍ مـــن إلـــهٍ أمْكَنـــا

● فالسيطرة ، والعلوم ، والإعلام : هي الوسائل الثلاث الأهم لمن يريد قيادة الحياة ، وعندئذ لا تحتاج الدعوة استعمال القوة أصلاً ، لأنها ستملك قلوب وعقول الناس ، وتتفوق في المنافسة ، فيرتفع حَرَج التهيب من عمل ثوري تسيل فيه الدماء ، لانتهاء الحاجة إلى منازعة ، ويتم الأمر بسلام ، وقال في القاموس/ ١٥٥٠ : مَكّنْـتُه من الشيء ، وأمكنته منه ، فتمكّن .

دُمْ حَـــضاريَ المـــدى يـــا نَهجَنـــا .... (٢٩)

بجهـــادٍ قَـــد حَرَسْـــنَا الوَطَنـــا

● الإشارة هنا إلى أن هذه المنهجية العلمية الإعلامية هي منهجية حضارية لها تأثير بعيد ، وأنها هي التي عليها التعويل الحقيقي ، لا على القفزات والأعمال الارتجالية والفورات الطارئة الموسمية وردود الأفعال ، ثم إنّ من جملة السلوك الحضاري : ممارسة الجهاد إذا غزانا المعتدي ، فإن ذلك من حراسة العدل الذي تقوم عليه الحضارات أصلاً ، والقانون الدولي المعاصر يذهب إلى مثل هذا التخريج أيضاً .

في رحـــابٍ مـــن إخـــاءٍ وافـــرٍ .... (٣٠)

رِبْـــوَةٌ أضْـــحَتْ صُـــفوفاً تُبتَنـــى

● في هامش المحققين لترتيب القاموس / ٦١٥ : إن الرِّبوة كما في كتاب المحكم لابن سيده : اسم للجماعة ، وإن بعضهم قال : هي عشرة آلاف ، ومثل ذلك في كتاب الأساس ، للزمخشري ، فربوتنا الدعوية القيادية أصبحت عشرة آلاف داعية مؤهل ، ينتظمون في صفوف .

في ثُبـــاتٍ عـــن ثبـــاتٍ تَـنْـتَـــشِرْ .... (٣١)
عَـــدُّ ألـــفٍ مـــن ثُبـــاتٍ عِـــينُنا

● هنا تأكيد الإشارة إلى أن عدد الدعاة كبير جداً ، ينقسمون في ميادين العمل إلى عشرات ، تنفيذاً للآية الكريمة : " **قل انفروا ثُـباتٍ أو انفروا جميعاً** " أي عشرة عشرة كما قال أهل التفسير ، أما مجرد الطبقة القيـادية منهم فقط فهي عشرة آلاف ، لذلك قلت في هذا البيت (عَدُّ ألفٍ من ثُـباتٍ عِـينُنا) .

والعِين : أي من استخلصتهم الدعوة وتمثل فيهم الصفاء ، فهم المتخيرون الأعيان ، وهو نفس تخريج الحور العين .

يبـــذلُ الأحـــرارُ عهـــداً خالـــصاً .... (٣٢)
ضَـــرَّهُم حُكـــمٌ لعَـــسْفٍ رَكَـنـــا

● نحن الأحرار ، وعهدنا لا تخالطه شوائب ، ومن فرط حساسية الحُـــرّ : أنه يضجر من ظلم حاكم يمنع الحريات ، ويركن ويصير إلى مصادرة الحقوق ومنع الشورى والانفراد بصناعة القرار .

أحكِمـــوا القـــرآنَ يُحكَـــمْ أمْـــرُكم .... (٣٣)
قُـــــــــوّة اللهِ دريءٌ دونَنـــــــــا

● لكن لن يضرنا ذلك ، لأن أمرنا يضبطه القرآن ، ونحن مقتدون ، وللإسلام وأحكامه نخضع ، ولذلك يعيننا الله تعالى ويدافع عنا ، فتكون الغلبة دوماً عبر الأجيال للمؤمنين ، ويخسر الطغاة التحدي ، والتاريخ شاهد .

وفي القاموس / ٥٣٢ : الدريئة : الحَلْقة يُتعلّمُ الطعن والرمي عليها ، وكل ما استُترَ به من الصيد ليُخْتَل ، أي من المخاتلة وإيهام الصيد وخداعه بالإختباء خلف الدريئة ، فيكون المعنى هنا أن قوة الله هي مثل التُرس أو الدِرقة تقينا طعنات الأعداء ، وهي شاخصة دوننا تتكسر عليها نِبال الطغاة إذا رمونا .

أُمــــتي غَـــزوٌ دهاهــــا غِــــرَّةً .... (٣٤)

صـــارَ رأيُ الـــبعض فِيـــهِ مائِنـــا

● وهو الغزو الأميركي المفاجئ للعراق ، وبسبب ظلم صدّام حسين صار رأي بعض دعاة العراق فيه مائناً : أي كاذباً ، أي خاطئاً ، واستعمال كَذب بمعنى أخطأ : لغة أهل المدينة المنورة وبعض العرب ، مما هو مذكور في كتب اللغة والفقه ، ولكن الغلبة كانت بعد الوهلة الأولى للرأي الجهادي ، وهو رأي السواد الأعظم .

إنمـــا جُنـــدُ الإلــــهِ انتَفــــضوا .... (٣٥)

عنـــدما الـــواعي بعـــزمٍ أذَّنـــا

● هذا تقرير تاريخي : أن القاعدين ما استطاعوا التأثير على سياسة الدعوة سلباً ، بل انتفض جند الله ومارسوا الجهاد عندما صدع القادة الوعاة بضرورة الجهاد وجزموا بذلك وأنه الخيار الذي لا محيد عنه .

قـــد بعَثنـــا مـــن جَديـــدٍ هِمّـــةً .... (٣٦)

في زمـــانٍ ضَـــمَّ جِـــيلاً وَسِـــنا

● ومن مفاخر الدعوة أنها وجدت جيلاً حائراً لاهياً ، فنشرت فيه تعاليم القرآن ، وبعثت الهمّة فيه بعد نعاس أنامه وأقعده عن المعالي .

قال في القاموس : الوسَن : شدة النوم ، أو أوّله ، أو النعاس ، وهو في سِنة : في غفلة ... ترتيب القاموس / ١٧٥٤ .

إن رأسَ الفـــــــضل في مَنهجِنــــــا .... (٣٧)

: دَفــعُ غــزوٍ : قَـــتْلُ عِلْـــجٍ رَاعَنــا

● العِلــج هو المحارب الكافر ، فمن أفضل أعمال المسلم : المبادرة إلى الجهاد والدفاع عندما يغزونا جيش كافر ظلماً وعدواناً ، وذلك جائز في أعراف الأمم والقانون الدولي أيضاً وليس في الإسلام فقط ، وراعنا العلجُ : أي أخافنا وأرعبنا .

لا نَلــومُ الــدهرَ بــل نَــسعى معــاً .... (٣٨)

قَوْمَــةٌ تُلغــي الــسلوكَ الــداجِنا

● في ذلك نفي للطبيعة السلبية التي تستولي على الجهال من لوم الزمان والأقدار ، ونسيان فحص احتمال وجود تقصير ارتكبناه ، كان السبب في تراجع أحوالنا ، فالنظر التحليلي الإستدراكي منهج دعوي إيجابي ، يؤدي إلى نهضة تلغي سلوك الإستسلام والوداعة وتحقق الجهاد .

ألــفُ إســمٍ نــالَ ســيفي لَقَبــاً .... (٣٩)

إنّ عَرْشــي ظَهْــرُ مُهْــرٍ صَــفَنا

● قال الفيروز آبادي : أسماء السيف تنيف على الألف .. القاموس / ٨٢٩ ، وصُفون الفرس هو قيامه على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة ، القاموس/ ٩٣٥ ، وهي صفة مدح ، وفي الآية ذكر الصافنات الجياد ، وربما يظن المستعجل أنها ليست هيئة إغارة وهجوم ، ولكنها في الحقيقة وضع تفكر يسبق الهجوم ، كالذي يفعله الإنسان ، فظهور الخيل هي عروش الدعاة المجاهدين وبيَد كل منهم آلة وضعت اللغة لها ألف لقب ، لشرفها هي ، ولأنها تمنح الشرف والعِزّ وروح الإستعلاء لحاملها ، وتجعله أبداً واقفاً في عرصات الحرية ، رانياً نحو تمام الحرية ، خليلاً لأرهاط فرسان شجعان يسعون نحو الحرية ، وأما الداجن فمنتكس مرتكس مع جُبنه ونظراته الحولاء .

صَــهلَةٌ مِــن خَــيرةٍ قــد صَــفِنَت .... (٤٠)

تطلـــقُ العقــلَ إذا مـــا افتَطَنـــا

● الصهيل صوت الخيل ، وهو من أجمل الأصوات وأكثرها تأثيراً في أعماق النفس المطمئنة ، والخيرة هي الفَرَس ، تشبيها لفرس الجهاد بالمرأة الخيرة العاقلة الجميلة ، وفي الآية " فيهن خيرات حِسان " ، فالقلب الحر يطرب إذا سمع الصهيل ، فيستيقظ العقل فيبدع في فهم الموقف اللائق ، ويندفع نحو الجهاد ، وفي الحديث (الخيل معقود بنواصيها الخير) .

دُرَرُ التخطــيطِ يلقاهـــا الـــذكِي .... (٤١)

إنْ يَغُــصْ عُمْــقَ صَــفِيْنِ الأثِنــا

● وكل ذلك جري مع ظواهر الحياة ، فإن الإنسان إذا صفن أيضاً كالفرس ، وتعمق في التفكير جداً ، وكان ذكياً : تفجرت الطاقات الإبداعية في دواخله ، وانتبه إلى تخطيطات جيدة وتعبيات مرنة فاعلة تمكنه من تناوش النصر بعون الله تعالى ، لكن بشرط أن تكون غوصته التفكيرية عميقة كمثل عمق حالة الإنسان المتفكر المتجسدة في التمثال الإغريقي المشهور الذي يصور رجلاً من رجال مدينة أثينا جلس وأسند مرفقه إلى ركبته ووضع كفه تحت حنكه ورفع أحد قدميه فوقف على أصبعها كأنه جواد صافن .

فيلـــقُ "العـــشرين" أو "جَــيشُ" الـــسما .... (٤٢)

رادَةٌ رَدّوا العـــــدوَّ الماجِنـــــا

● ثم تميل القصيدة إلى فصل تاريخي توثيقي لمفاخر الجهاد العراقي وأهله وفصائله ، و " رادة " : جمع رائد ، وهو الذي يتقدم قومه أو أصحابه فيستطلع لهم ويكون الأول ، وكذلك كان هذان الفصيلان : الجيش الإسلامي وفيلق العشرين : هما أول من نزل إلى الميدان وحازا شرف السبق ، وأنا لا أقول ذلك خوفاً من مغرورٍ في الجيش الإسلامي أوغل في شتمي حين مدحت منظمة

" جامع " ، إذ لطالما تغنيت سابقاً باسم الجيش الإسلامي في كتاباتي ، وذكرته في رسالة (عوائق في درب الجهاد) أكثر من عشر مرات ، ولكني استحضر قول الإمام الشهيد حسن البنا :

كونوا كالشَجَر : يرميه الناس بالحَجَر ، ويرميهم بالثمر .

وأنا مع كل المجاهدين إلاّ مَن يتعجرف ويقول بالتكفير ، وهكذا عرفتُ نفسي دائماً ، ولكن لم أجد ما يمنعني أن أكون مع " جامع " أيضاً ومن جامعٍ ولجامعٍ على وجه التخصيص ، وإن أُعجب بها : فلمعدنها التربوي المنهجي ، ودقّة تنظيمها ، ووعيها السياسي ، مع بقاء حبّي لكل المنظمات والشجعان الذين قاتلوا فُرادى .

و" اللـــهَيبي " ســـيدٌ زكّـــى دَمـــاً .... (٤٣)

" جـــامعٌ " راسَـــتْ بـــرَوْسٍ أثْخَنَـــا

● ثم في الأداء الميداني : كان عبدالرحمن اللهيـبي سيد شهداء الجيش الإسلامي ، بل سيد شهداء الجهاد العراقي كله ، وأقول ذلك عن علم وبشهادة عيـنـية ، إذ سكنتُ منطقة العامرية قلعة الجهاد ، فكنت أرى الأداء الميداني العالي اليومي لهذا البطل الشجاع المتواضع ، وشاهدته وقد رمى عِلجَين قنصاً فأرداهما ، وراقبته مراراً وهو يرسل مقاتليه إلى شارع المطار ، وفي يوم استشهاده قام بست عمليات ناجحة متوالية ، ورأيت أولاها مدرعةً تحترق في شارع العامرية ، وكان مغواراً سديد الرمي ، وأحببته ، ودافع عني حين أراد الجلاوزة اغتيالي ، وعائلته عائلة شريفة معروفة بكل خير ، وأخوه يشهد أني أردت أن أكون أول من يرثيه بعد استشهاده بيوم ، فاستأذنته ، ففضّل تأخير ذلك خوفاً من مردود أمني سلبي على أصحابه المقاتلين إذا عرف العدو هويته ، ثم ينسبني المغرور إلى تعمد طمس اسم الجيش الإسلامي !

وأما " جامع " فجاءت متأخرة بعض الشيء ، لكنها عوّضت عن تأخرها بضرب سديد ، لاستنادها إلى خلفية تنظيمية فكرية جيدة ، فأثخنت : أي كثر قتلى العلوج من جراء عملياتها ، وراس رَوْساً : أي مشى متبختراً ، كما في

ترتيب القاموس / ٦٨٢ ، وهي مشية يحبها الله تعالى من المجاهد حين القتال ، ومدح النبي ﷺ أبا دجانة ﷺ يوم غزوة أُحُد حين رآه يتبختر وقال له : هذه مشيةٌ يحبها الله ورسوله ، وأما التبختر في الحياة اليومية للمسلم فإنه هو المكروه ، والـخُـــــيَلاء كِبر مذموم في عِلم الإيمان .

الـــسّرايا كُلُّهـــا قـــد أحـــسنتْ .... (٤٤)
ضـــربوا الأمثـــالَ كـــانوا الَميمَنـــا

● وهذا تعميم يغني عن تعداد أسماء كل الفصائل ، لأن طبيعة الشعر تأبى ذلك ، وإنما نذكر الرؤوس والمنظمات الكبيرة فقط ، والجهاد العراقي كان نفيراً واسعاً ، حتى أن بعض العشائر العربية كانت تضرب في منطقتها من دون الإنتماء لتنظيم ، بل أحياناً كان الأمر عائلياً أو فردياً ، فإذا كانت التنظيمات الكبرى تمثل القلب ، فالصغيرة تمثل الميمنة ، ونفرة غير المنتظمين تمثل الميسرة .

كَـــم أُلوفـــاً شُـــهَدا قـــد أوجبـــوا .... (٤٥)
فَلْيُحـــــاذِر بَطِـــــرٌ أن يَلْحَنـــــا

● فالكل قد شاركوا ، حتى بلغ عدد الشهداء ألوفاً كثيرة ، وكان منهم الموقف الإيجابي ، ولذلك لا يجوز لمتبطر أن يلوك لسانه كلاماً تـخذيلياً ينكر فضل الشهداء ، وفي الآية : " **ولتعرفنهم في لحن القول** " أي أهل النفاق نعرفهم من خلال فحوى كلامهم ومعناه ، كما في ترتيب القاموس / ١٤٦٤ : أي أنهم يريدون اللمز ، أو يريدون كلاماً يفهمه المنافق ويخفى على الصادق .

وللإيجاب معنى آخر : أن الشهادة مثل العقد فيه إيجاب وقبول ، فهُم قد فعلوا ما أراد الله منهم وأوجبوا ، ويبقى علينا نحن الجانب الآخر في العقد من عامة المسلمين أن نستغفر لهم وندعو لهم ، ونثني على فعلتهم ، وذلك هو قبولنا ، ومن هنا نعلم سوء مَن يطعن في المجاهدين والشهداء أو يلمز من يساعد المجاهدين برأيٍ أو كتابة أو مال أو سلاح أو عمل استخباري أو طبي أو إعلامي ، إلا أن

تختلط الأمور على المجاهد فيعتقد بدعة التكفير ويكون من الخوارج ، فهذا ننقده مع بيان السبب .

نالَهــا " سَــعْدُ " "سَــرايا الغَــضَبِ .... (٤٦)
جيــشنا" الثــاني لثــوبٍ سَــدَنا

● هذه عودةٌ إلى أخبار بعض الفصائل التي أجادت ، فمنها : سرايا الغضب ، وكان المهندس سعد من أوائل قادتها وشهدائها في عملية التاجي البطولية ، وخبرها في أواخر رسالة " قمرنا العالي " .

والجيش الثاني هو جيش المجاهدين ، وأبى ميزان الشعر ذكر اسمه كاملاً ، وهو منظمة كبيرة أيضاً قامت بعمليات نوعية عديدة وأتقنت جهادها ، وكانت حاضرة حضوراً قوياً ، وسميناها بالجيش الثاني لأن الجيش الإسلامي كان هو الأول بلا ريب ، في الحجم وفي وقت النزول إلى الميدان .

وفي ترتيب القاموس / ٧٥٩ : سَدَن ثوبَه : أرسله ، وإطالة الثوب كناية عن العفاف وعدم الأذى حين مارس الجهاد ، وليس كمثل مَن جاهد وفيه بقية من بدعة أو جهل بأحكام فقه القتال والسياسة الشرعية ، فقتل مَن أبى طاعته من بقية المجاهدين وزعم لنفسه الإمارة ، أو قتل المدنيين من خلال تفجيرات في الأسواق والأماكن المزدحمة بحجة إشاعة الفوضى التي يضعف معها أمر المحتل أو أعوانه .

الــــشهيد الحُــــرُّ أغلــــى مُــــسلمٍ .... (٤٧)
حَــــسْبُهُ قَــــدَّمَ جُهــــداً صــــائِنا

● وهذا ما يجب أن يتعارف عليه المسلمون : أن الشهادة أعلى المنازل ، وأن الشهيد أفضل منا جميعاً ، ويكفيه أنه سارع إلى تقديم جهد يصون به ديار المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، ويصون الدين ويحفظه .

غَـــزَّةٌ صـــارتْ مثـــالاً أقْمَـــرا .... (٤٨)

لجهـــادٍ يُتْبِـــعُ الهَـــدمَ البِنـــا

● هنا تعريجٌ على ذكر الترابط التام بين الجهادين الفلسطيني والعراقي ، وأن النمط الجديد لعمل حماس في غزة أتاح نوعاً من مفهوم متطور للجهاد فيه تنمية ورعاية لمصالح الناس ، فهو يهدم عمل المعتدي والظالم ، ويبني شيئاً نافعاً ، في وقت واحد .

في العـــراقِ الـــشَّهمِ صِـــيْغَت "حَمْـــسةٌ" .... (٤٩)

خطـــةٌ تُنْـــذِرُ يُهْـــدانَ الفَنـــا

● ومن وعي حماس فلسطين أنها أعانت حماساً أخرى في العراق ، وهذا مثلما هو تكميل للتقرير التاريخي عن منظمات جهاد العراق بذكر حماس العراق : فإنه يمثل أيضا خُطة ذكية فيها إجلاء لأميركا عن العراق ، فتفوت على إسرائيل فرصة الإستعانة بالجيش الأميركي في العراق ، ويُهدان جمع يهود ، كما في القاموس / ١٧١٥ .

اســـتمِرْ " خالـــدُ " عَـــصْرَ النُـــصْرَةِ .... (٥٠)

يـــومُ فَـــتحِ القُـــدسِ أوْرى ودَنـــا

● خالد مشعل هو البطل الوحيد الحي الذي أوردت هذه القصيدة اسمه ، وأعرف عنه صلابة يمازجها وعي ، وهو أهل لقيادة محاولة الفتح المبين إن شاء الله ، وعصر النُصرة هو هذا الزمن الذي توسعت فيه موارد التأيـيد فعمت العالم كله .

وأورى : أي قَدَح الزَند فصارت النار وأضاءت ، كما في القاموس / ١٧٤٩ ، دلالة على أن الفتح أصبح متوقعاً جداً ، اذا استمرت الوتيرة الحالية ، حتى كأن الناس – كل الناس – على يقين من حدوثه ، وأنا أرى ذلك أيضاً ، فالدعوة

تتوسع ، والجـهاد يقوى ، والأمة تستيقظ ، وأميركا تسير نحو الإنكفاء على نفسها ، وتبقى إسرائيل وحيدة .

كُـــلُّ ذا والخُطـــةُ الكُـــبرى لنـــا .... (٥١)

تَـــصْنع الإبـــداعَ صُـــنعاً ضُـــمِنا

● وهذه بداية فصل جديد في القصيدة فيه ذكر بعض الأحوال التنظيمية والتطويرية للدعوة ، وأظهر ذلك : وجود خطة استراتيجية شاملة تضبط التقدم لمدى زمني مستقبلي بعيد ، وفي بلاد واسعة ، وذلك ما اسمته القصيدة : الخطّة الكبرى ، وليس وضعها من الأمر السهل ، بل تحتاج فكراً قيادياً ، وعند وجودها تتفجر الطاقات الإبداعية للدّعاة ، ثم الله هو الضامن .

إذْ هُـــــوَ اللهُ بِمَـــــنٍّ ضَـــــمِنا .... (٥٢)

يـــرزقُ الـــدّعوة رَهطـــاً أُمَنـــا

● تذكير بأن الله هو الضامن لنجاح الخطة ، بفضله ومَنِّه وكرمه ، ونبرأ من أن ننسب لأنفسنا الفضل ، إنما يجعل الله الرهط القيادي الأمناء سبباً لورود هذا التخطيط ، واكتشاف الدعاة لأهمية المجموعة القيادية هو أول طريق النجاح ، ولذلك كان تطويرها وإمدادها بعلوم الإدارة وفنون الإبداع من أحسن الأعمال ، مع ما يظاهر ذلك من وعي سياسي وعلم حركة الحياة .

مَـــن بنـــى الأُسَّ صُـــخوراً لم يُعِـــبْ .... (٥٣)

إنْ بَنـــى الحيطـــانَ طِينـــاً لَبِنـــا

● فمَن أوجد الطبقة القيادية الواعية فإنه يكون قد أتم بناء الأساس المتين الحجري الصّلد للصّرح الدعوي ، وهذا يستلزم أقصى التشدّد في الشروط والاختيار ، لكن الامتداد الدعوي العريض والقضايا التنفيذية يصح فيها

التساهل والاستعانة بمن فيه نوع ضعف ، لأن الصنف القيادي يقوم بإصلاح الخلل إن حصل .

بَيعـــةُ الـــدعوةِ تُلْـــزمْ جَمْعَنـــا .... (٥٤)
كُلُّنـــا يَـــشربُ مـــن نَفْـــسِ الإنـــا

● وتوكيداً للوفاء ، وتحفيزاً للنفوس أن تبذل أقصى ما تملك من طاقات : كانت البيعة للقائد عرفاً وأصلاً دعوياً مباركاً يعصم الدعاة من طاعة الشيطان عند الخلاف ، ويميل بهم نحو ما هو أطهر وأعف ، ثم إنها سُـنّـةٌ شرعية ، وفيها وفي فقهها تفصيل ليس هنا محل شرحه .

في إخـــاءٍ صـــاغَ طـــوراً أحْـــسَنا .... (٥٥)
هُـــوَ طُـــرّاً فـــوقَ إغْـــراءِ الـــدُّنى

● إنما ليست هي الطاعة العسكرية العمياء ، بل الطاعة الواعية من بعد استيفاء الشورى ومنح الدعاة حق القول والإفصاح عما في الصدور ، ويتم كل ذلك في إطار من الإخاء وتواضع القائد ، فيرتفع التابع فوق إغراء الدنيويات .

دُنى : جمع دُنيا ، كما في القاموس / ٥٦٨ .

قُـــم بنـــا نَـــصْنَعْ جَمـــالاً بـــاهِراً .... (٥٦)
يُـــودعُ الفَـــنُّ بعُمـــقٍ مُوْزِنـــا

● الإشارة هنا إلى أن تمام الصنعة القيادية والتبليغية والتنفيذية يستلزم روحاً جمالية وانتاجاً فنياً متنوعاً ، لأننا اكتشفنا أن الجمال يودع في النفس موازين التعادل والتناسق ، وموازين إيجابية أخرى ، وهو ما شرحته في كتابي " **العمارة الدعوية** " .

يـــا نَــــسِيماً مـــن جِنــانٍ داعِبـــا .... (٥٧)

عِـــنْ أُبـــاةً يرفــــضونَ الإنحِنـــا

● وأبرز الأخلاق الدعوية : الإستعلاء والإباء ، وإذا لامَسَ نسيمُ الجنةِ الداعبُ الأباةَ : ماتوا وقوفاً .

وداعِبا : صفة للنسيم ، من المداعبة والملاعبة ، وتعني هنا أنه نسيم متحرك ، ويحرك خصال الشَعَر أو أطراف الثياب ، وكأنه بذلك يداعب صاحبها .

شَـــتَّتَ الأحـــزابَ كِبْـــرٌ قــد طغـــى .... (٥٨)

بينمــــا فَــــنُّ التــــسامِي فَنُّنـــا

● لكنه ليس الاستعلاء الجاهلي الذي نجده عند العلماني ، بل هو التسامي الإيماني ننفرد به .

نَــــــدرسُ الأحـــــــوالَ في مَـــــــشْوَرَةٍ .... (٥٩)

ثُـــمَّ نُـــصغي لخـــــبيرٍ أتقنـــا

● أصبح التداول الشوري راسخاً في الأوساط الدعوية ، والشورى عند الدعاة ملزمة ، واستلزم الوصول إلى هذه الدرجة الكثير من التربية ولمدى طويل بعدما كانت التّبعية لرأي الرؤساء هي الشائعة ، تبعاً للأحوال الاجتماعية الموروثة ، ثم زدنا فأوجدنا خبراء من الدعاة في كل فن نلجأ إليهم قبل البت في الأمور .

قــد نَمــا الفِقــهُ وتجريــبُ الــذكيْ .... (٦٠)

باجتهــــادٍ في نُــــصوصٍ أمْعَنــا

● ولحفظ هذه التطورات الإيجابية وجعلها أسلوباً دائماً سلكت الدعوة منهجية الإجتهاد الفقهي الأصولي وترك التقليد ، ومواجهة مشاكل العصر

المستجدة بروح منفتحة تلحظ المصلحة والمقاصد وسد الذرائع ، وبذلك تكيفت الدّعوة مع الواقع الجديد العالمي من غير إخلال بالمطلوب الشرعي .

رأسُــــنا يَــــسْتنبطُ الحُكـــــمَ لنـــــا .... (٦١)
حلّـــهُ يقفــــو اجتهـــــاداً مَرَنـــــا

● وهو رأسنا في الفقه ، وليس شرطاً أن يكون رأس التنظيم ، كمثل فضيلة الشيخ القرضاوي ، ولذلك صار من منهجية الدعوة أن تدفع بعض أبنائها للتعمق في الفقه ليكون الإجتهاد جماعياً أيضاً ، وقد أمدّت اجتهاداتهم الخُطة بحلول مرنة كثيرة .

وقال في القاموس / ١٥٢٦ : مَرَن : لانَ في صلابة ، وهكذا اجتهاداتنا تتخير المرونة والتيسير من دون مساس بأصل الحكم الشرعي ، فهي لينة صلبة في آن واحد .

نَتْبَــــعُ الفُتيــــا إذا مَالـــــت إلى .... (٦٢)
نـــوعِ تـــسهيلٍ يُـــوَفِّرْ أمْنَنـــا

● مع ملاحظة أن الدعوة تعمل في محيط ملغوم ، ولها أعداء ، ولذلك يكون الدافع الأمني أحد مسببات الميل بالفتوى إلى التسهيل أحياناً ورفع الحرج ، إنما نُـميّز أسلوب تـتـبع الرُخص ونـتـعفف عنه ، لكن الحديث عن اجتهاد تيسيري تحفه التقوى .

إنْ خَطَــــواْ حـــــاذِراً في موقـــــفٍ .... (٦٣)
شـائِكٍ أصــوبُ مِـن حَمْـلِ العَنـا

● وبسبب ذلك لا نرد مورد مهلكة أو نتهور أو نجازف إذا كانت التقديرات تشير إلى حدوث ضرر كبير للدعوة وعناء .

فسيرنا حكيم وقور محسوب مقدَّر ، ويقوم على دراسات ميدانية وتقارير تخصصية ، وهذا أحد امتيازات الدعوة المعاصرة المتطورة ، أنها تملك محللين ومجاميع خبراء تجعل أمر الجماعة موزوناً قائماً على الإستطلاع .

قــد يـــراوِح مَـــن أحـــسَّ الألمـــا .... (٦٤)
بُلبــــلٌ هَــــزّ برفـــقٍ فَنَنــــا

● وانطلاقاً من ذلك ننكر أسلوب الهجوم المستمر الذي لا يلحظ النتائج السلبية إن وقعت ، بل نقارن ونعيدُ دراسة الموقف ، ولذلك ربما تكون سياستنا في مرحلة ما : المراوحة وعدم التقدم ، لعلاج الآلام التي تلحق بالدعوة جرّاء ظلم الظالم ، إنما ليس هو التراجع والميل إلى الدَّعة ، والأمر أشبه ما يكون بمرح بُلبل على غصن رطيب يطلب الظل .

شَـــرْعُنا يُـــسْرٌ وبُـــشرى لم يَـــزَلْ .... (٦٥)
يَجْـــتَني للنـــاسِ أنـــواع الجَنَـــى

● وكل ذلك تـابع لطبيعة شريـعة الإسلام ، فهي سمحة كلـها ، وقد أمر النبي ﷺ أن نيسر ولا نعسر ، وأن نبشر ولا نُنَفِّر ، والتقوى الموسَوسة التي تذهب إلى تنفيذ ظاهر الأمور الشرعية من دون ملاحظة النتائج والأضرار المترتبة : لا يعترف الفقهاء بها ، وبخاصة إذا دفعت هذه التقوى إلى حصول جناية وعدوان .

ويجتني الثمرة : أي يلتقطها ويقطفها ، والـجَـنَى ، كما في القاموس / ٣٠٣ : الذهَب ، والرُّطَب ، والعَسَل ، فكأن الشرع يُطْعِمُ الخلق أحسن ما يحبون ويقدم لهم المصالح .

حكمـــةُ التيـــسير أوفـــى حكمـــةٍ .... (٦٦)
قَبُحَـــتْ فتـــوى أقَلّـــتْ فِتَنـــا

● ليس الشرع فقط : بل عقول الحكماء في كل الأمم أجمعت على محاسن التيسير وقبح التنطع والمبالغة ، وكل فتوى تحمل في ثناياها فتنة : هَدْرٌ ، وهي دليل على أن المفتي لا يملك النّظر الأصولي ، والرؤيةَ الكلية الشمولية ، والفقهَ المقارن وعلم العلل القياسية .

ومعنى أقلّت : حَمَلَت ، كما في القاموس / ١٣٦٠ : وهي الكلمة الواردة في قول النبي ﷺ : (ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر) ﷺ ، أي ما حملت الأرض ولا أظلت السماء أحداً أصدق من أبي ذر .

قِـــسْ وقـــارِن وانتبـــه إذ رُبّمـــا .... (٦٧)
ضُـــمِّنَ الـــنصُّ الفُـــروقَ الكُمَّنـــا

● فالداعية ليس مثل هذا الفقيه اليابس ، بل نندب له أن يجتهد ويقيس ويرى الأشباه والنظائر ، لكن مع رؤية ما يكملها في الجانب الآخر المضاد لها ، وهي رؤية الفروق الكامنة في ثنايا النص ، ولا ينتبه لها المستعجل وتحتاج التدقيق .

مِـن لِقـا عَقلـين تُرجَـى القِدْحَـةُ .... (٦٨)
مَنطِـــقٌ لاقـــى حِـــواراً سَـــنَّنا

● ولكمون الفروق والعلل : أصبحت وسيلة المناظرة الجماعية أنجح في الوصول إلى اجتهاد صحيح ، لأن العقول سيصيبها استفزاز يبلغ مداه الأقصى في التحدي فيكون اكتشاف الصواب ، وكانت تلك هي منهجية أبي حنيفة والشافعي على وجه الخصوص وأحياها العرف الدعوي المعاصر ، فالحقيقة المنطقية تلاقي من خلال الحوار الثنائي أو الجماعي ما يشحذها ويحدها ، مثل حجر المِسَن الذي يحدّ السيوف .

قال في القاموس / ٨١٤ : سَنَّنه : أحَدَّه وصقله ، وسنّنَ المنطِق : حَسَّنه .

ولذلك أصبحت المنهجية الدعوية تحرص على لقاء العقول وحوارها ، وقال في القاموس/ ١٢٩٢ : القِدحة ، بالكسر : اسمٌ من اقتداح النار .

مَـــذهبُ الإحيـــا لفِقـــه الـــدّعوةِ .... (٦٩)
وَمَـــضاتٌ أوْرثـــتْ بَرْقـــاً سَـــنا

● ومصداق ذلك مدونات " **مذهب إحياء فقه الدعوة** " ، فإنها وإن كانت صياغة فردية : إلا أنها نوقشت معانيها في الدورات الخاصة في أكثر من مكان ، فأصبحت جماعية في فكرها ، وصارت تومض وميضاً هنا وهناك ، بين آونة وأخرى ، فيظهر مبدع من الدعاة يحاكيها أو يضيف اجتهاداً .

كـــلُّ حَـــرفٍ في سُـــطورِ الـــسُّنَنِ .... (٧٠)
يُثبِـــتُ الخـــيرَ ، يُـــنيرُ الباطِنـــا

● والمرجع في ذلك كلّه : ليس الظن ، بل السُنن المأثورة وفقه أهل الحديث ، حيث كل سُنة تؤسس لنوع عمل صالح من أعمال الدنيا أو المعاملات وأخلاقياتها ، وفي الوقت نفسه يطهر دواخل النفوس ويملؤها نوراً .

يُـــسبَقُ الغَيـــثُ بِبَـــرقٍ ذي ســـنا .... (٧١)
يكـــشِفُ الإبـــداعُ أقـــصى كونِنـــا

● وهكذا هي الحياة : الفكر فيها قائد ، فكما يكون قبل المطر برقٌ له لمعات : تَـسبق العملَ الصالح فكرةٌ إبداعية ، وتبقى وتيرة الإبداع تـتعاظم حتى استطاع الفيزياويون المبدعون كشف اقصى الكون ، وتـُفهم كلمة " أقصى " بفهم نسبي ، فالمقصود أعماق الكون ، وأما الأقاصي الحقيقية فلا يعلمها إلا الله ، والحكمة من ذكر هذا الوصف للإبداع الفيزياوي أن ما هو أدنى منه من قضايا حياتنا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية يستطيع الإبداع أن يقودها ويسيطر على

حركة الحياة سيطرة نسبية ، والله تعالى هو المسيطر ، لكنه يُعلّم الإنسان مالم يعلم ويلهمه ، وما من تنمية ناجحة إلا ويكون خلفها إبداع ومبدعون ، وأما أصحاب العقول المستريحة المسترخية ففي أماكنهم يراوحون إن لم يكن رجوع القهقرى .

حُرِسَـــــتْ أفكارُنــــا فِي مَــــنهجٍ .... (٧٢)
أَمَّ شَــــهْماً أرْيَحِيّــــاً لَـــسِنا

● وإخراجاً لكل هذه الأفكار والاجتهادات من أن تكون طارئة أو شخصية : تم إيداعها في منهج تربوي عام يحفظها جيلا دعوياً بعد جيل ، وينشرها قطراً بعد قطر ، ولكن لتمام نجاح هذا المنهج يلزمه أن يكون المتعلم لبقاً في الكلام وله شهامة ، وقال في القاموس / ٦٨١ : الأريحي : الواسع الخُلُق .

يُـــسْرِعُ النفْـــرَةَ فِي دفــعِ العِـــدا .... (٧٣)
بِـــسلاحٍ قَـــدْ عَليــــهِ مَرَنــــا

● هذا تعريج في نـهاية هذا الفصل من القصيدة على قضية الجهاد ، وتذكير به ، وأنه في غاية الأهمية ، والداعية الشهم يسرع النفير ، ولكي لا يصرف البعض الأمر إلى الجهاد المجازي الذي هو عمل كل خير : صار التخصيص ، وأننا نقصد الجهاد بالسلاح ، وليس أن يكون خازناً له ، بل يكون قد تمرّن عليه مراراً وأصبح جاهزاً وتعلّق قلبه بسلاحه .

ناقِـــدَ " الإخـــوانِ " مَيِّـــز سَـــمْتَنا .... (٧٤)
قَـــدِّم الإنـــصافَ والـــزمْ رُكْنَنــــا

● في هذا الفصل دفاع عن حركة الإخوان ، وبـيان أبعاد التآخي الذي تحرص عليه مع التجمعات السلفية والصوفية من أجل وحدة الموقف وتقوية لصفوف الأمة الإسلامية ، ويبدأ ذلك بنداء لمن ينقدنا أن يعرف هدينا وفكرنا وطرائقنا

ليكون حكمه صواباً ، ونطلب منه أن يكون عدلاً أولاً صاحب إنصاف من غير توتر وعصبية ، فإن من يكون كذلك يوشك أن يرى الحق حقاً ويرزقه الله اتباعه فينضم لنا .

هـــامشُ الأخطـــاءِ عَفــوٌ عِنـــدما .... (٧٥)
يَمْـــحُ نُــوري وصَـــوابي الـــداكِنا

● وهذا يقتضي منه إعمال ميزان حاسم في قضية النقد : وهو أن الجماعة التي يكون معظم عملها وفكرها وموقفها صحيحاً وفق الشرع : فإن ما يخالط ذلك من الأخطاء الاجتهادية يكون هدراً ، ويكون التأول لها بأن قادتها بَشرٌ تجوز عليهم الأخطاء ، وعند ذلك فإن الظل الداكن للخطأ سينيره ضوء صوابنا ومناقبنا وأعمالنا الخيرية وتاريخنا الأبيض .

رُبّمــــا نَلْقـــى بِجَهْــــمٍ مُجْرِمـــا .... (٧٦)
إنمــــا بالبِـــــشْرِ نَلْـــقَ المُحـــــسِنا

● هذا تأكيد للميزان الواجب في أمر النقد ، وأن النقد يستلزم روحاً منفتحة من الناقد قبل كل شيء ، فإن العبوس في وجه المجرم العدو للإسلام حَسَنة ، ومن قواعد الإيمان : أن نكره في الله ، ولكن من يميل إلى الإحسان ويكون داعية وملتزماً للفروض يجب أن نلقاه بالترّحاب والابتسام ، ونحن أهل لحُسن الظن .

يَرْسَـــخُ النَـــاظِرُ نحـــوَ الآجِـــلِ .... (٧٧)
خـــارَتِ الفِطـــرةُ صَـــفواً لَبَنـــا

● هذه تسليةُ للدعاة أن يتذكروا ثواب الآخرة إن استمر النقد الظالم لهم من إخوان لهم في الإسلام ، وأن يعرفوا أن اختيارهم الدعوي هو اختيار صحيح تام تابع كفرع للفطرة السليمة ، فلْيَثْبُتوا ولْيَرسَخوا ، فإن اللائم واهم .

وخارت الفطرة : أي رأت الفطرة أن اللبن خير من غيره ، القاموس / ٥١٤ ، فكذاك الناظر نحو الآجل ، أي أن سواء الفطرة مع النظر نحو الآجل فيهما أصل صيانة المرء لنفسه .

مَوعـــدُ الجنّـــةِ يُجلـــي الحزُنـــا .... (٧٨)
قُـــمْ فجـــاهِرْ بقُـــرآنٍ : غَنِّنـــا

● وليعلموا أن موعدهم الجنة ، بفضل من الله ، وقد قوي الرجاء مهما أخافتنا الذنوب ، فإن رحمة الله سبقت غضبه ، وهذا الظن الحَسَنُ بالله تعالى هو الذي يتـولى إجلاء الأحزان ، ولذلك يجدر بـنا أن نقوم فنجاهر بالقرآن ونتغنى به ، ولفظة التغني بالقرآن لاحرج فيها هنا ، لورودها في صريح كلام النبي ﷺ وقوله : (ما أذِنَ الله لأحد ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن) أو كما قال .

وكلمة القرآن هنا مخففة بلا مد لضرورة الوزن ، وهي لغة الشافعي وهُذيل ، كما شرح أحمد محمد شاكر ذلك في تحقيقه لكتاب الشافعي " الرسالة " في الأصول.

راجَ رأيٌ صـــاغَهُ جَمْـــعٌ زَكـــا .... (٧٩)
شـــاوروا ثـــم رَعوهـــا سُـــنَنا

● وثقةُ الدعاة بأنفسهم واجبة ، لأن رأيهم جماعي غير فردي ، ومن بعد شورى وحوار وحرص على رعاية سنن النبي ﷺ ، وكلهم أطهار ، ولذلك ينتظرون رواج فكرهم وخططهم ، والتوسع حاصل ، والبشائر تترى .

ســـادَ أمـــرُ المُقتفـــي والـــسَّلَفِي .... (٨٠)
: نَجـــتِ الرُكبـــانُ سَـــارت سَـــنَنا

● وهم أهلُ ترحيبٍ بانتشار أمر كل جماعة تقتفي تعاليم الشرع أو جماعة سلفية تتبع الأثر ، لأن نهضة الأمة تستدعي توحيد الطاقات أو تعاونها وحشد

الجهود ، وكل قافلة تلتزم الطريق المعبد الواضح تصل بعون الله ، ومثل هذه الطرق تسمى بلغة العرب : السَنَن ، بفتح السين ، فهي الشوارع العِراض ، وأما بالضم كما في البيت الذي قبله فهي الطريقة والـهَدي العملي .

كــــلُّ صُــــوفيٍّ نجـــا مِـــن بِــــدَعٍ .... (٨١)
يُطِـــلِ الــــسجداتَ لَـــيلاً وإنَـــى

● إنـَى : أي كل النهار ، كما في ترتيب القاموس / ٨٠ ، وجمعه أوضح وأشهر ، أي قولنا : آناء النهار ، أو آناء الليل والنهار ، فهذا مفرد منه ، والإشارة إلى أنه أصاب حقيقة التصوف القديم المأثور عن الجنيد وأضرابه ، من صحة العقيدة ، والبراءة من البدع العملية ، وكثافة العبادة .

نَهجُــــه إنتـــاجُ شــــيءٍ نــــافعٍ .... (٨٢)
: هـــو مِنّـــا نَحـــنُ مِنْـــهُ : قُنَنـــا

● وهنا الإشارة إلى ترك العزلة والسلبية والصيرورة إلى منهج إنتاجي يؤدي إلى إضافة جُزيـــئة حضارية ، فبهذا الإعتبار يكون داعية أيضاً ، ونحالفه ويجري بيننا وبينه التعاون .

والقِنّة : بكسر القاف وتشديد النون : قوة من قوى الحبل ، كما في ترتيب القاموس / ١٣٧٥ ، أي جزء الحبل الذي يلتف على الجزء الآخر ، فهو مثيلنا الذي نلتف وإياه معاً ، وهذا تشبيه غايةٌ في الجودة والمطابقة اقترفتُه ، يوافق معنى " إننا منه وهو منا " تماماً ، إلا أنّ الكلمة صعبة غير متداولة واحتاجت الشرح ، وذلك هو الجانب السلبي فيها ، وأما نصبها بالفتح فجاء على الحال ، أي حالنا كذلك وأن الصوفي هو الطرف الآخر المكافئ الذي نلتف حوله ويلتفّ حولنا ، والتصوف الموجود في رسائل الأستاذ بديع الزمان والذي تربت عليه جماعة النور في تركيا وغيرها هو من هذا النوع الصافي من البدع الاعتقادية ،

وهذه الجماعة منا ونحن منها ، ثم جماعة التبليغ قاربت أيضاً وكادت ، غير أنها تحتاج إلى تطوير في الأساليب ، وهي طاقة من طاقات حبل الإسلام المعاصر يجدر بها أن تلتف حول الطاقات الأخرى منه ، وهذا أحد معاني " حَبل الله المتين " ، وجمع قِنّة : قُنَن ، كما ورد في القافية .

كُــلُّ حِــزبٍ طــائفيٍ أجْرَمــا .... (٨٣)

عنــدما حــالفَ بــوشَ الأرْعنــا

● إلا الأحزاب الطائفية التي غدرت وارتكبت جريمة الذهاب إلى البيت الأبيض وإغراء الرئيس الأميركي باحتلال العراق ، فنحن على براءة منها ، مثل حزب الدعوة وحزب المجلس الأعلى ، والإجرام قد لحق كل حزب ذهبَ إلى البيت الأبيض وإن لم يكن طائفياً .

أيُّ رَهْــطٍ لابتــداعٍ تَرَكــا .... (٨٤)

كــان ضِــمناً مُــدْرَجاً عُنوانَنــا

● وشرطنا لتحقيق الولاء بيننا وبينها : ألاّ تدعو إلى البدع الاعتقادية ، وهذا صعب التحقق ، لأنهم باطنية يؤمنون بالتَقِيَّة وتحاشي الحرج فيزعم شيئاً ويضمر خلافه ، وكذا جريمتهم السياسية والدماء التي أراقوها ظلماً ، لا توبة منها ، ولكن الأمل في أن يبزغ حزب جديد نخالفه بريء من الإثم والبدع إذا استمر مدة على حال العفاف .

مِعْــزِلٍ أو لِعَلــيٍّ شــايَعا .... (٨٥)

طالمــا أنكَــرَ فِكــراً شــاحَنا

● سواء أكانت هذه الاحزاب على بدعة الإعتزال ، أو مشايعة لعلي ﷺ ، فوحدة الأمة تقتضي التعاون بيننا وبين هذه الجماعات التي نرى في عقيدتها

أنواعاً من البدع ، ولكن بشرط أن لا تدعو إلى بدعها ، ثم بشرط ترك فكر المشاحنة والعداوة والطعن في أجيال السلف الصالح وجيلهم المعاصر ، المتمثل في الدعوة والدعاة ، ومِعزِل : من المعزال الذي ينفرد ناحيةَ لوحده ، كما في ترتيب القاموس/ ١٠٨٧ ، ونعني هنا أن يكون على فكر المعتزلة ، مما هو شائع بين الزيدية في اليمن وحضرموت وامتدادهم خلال الهجرة إلى شرق أفريقيا وأندونيسيا ، وكذلك ظهر الإعتزال عند بعض تلامذة المستشرقين ، فكل هؤلاء يمكن إدراجهم في العنوان الدعوي إذا تركوا المشاحنة والتمسوا الإخاء الصادق ، ولم يثوروا كما ثار الحوثي .

كــلُّ أصـــحابِ الـــنبيِّ الأحْمَـــدِ .... (٨٦)

هُـــمْ ثِقــــاتٌ لم يُعــــانوا وَهَنــــا

● وتوثيق الصحابة كلهم ﷺ واجب في هذا المقام ، وهم أبرياء من معاناة الوَهَــن ، وهو الضعف ، وسبب هذا النص على توثيقهم أن المتبدعة يُضَعّفونهم ويزعمون أنهم ارتدوا إلا ستة منهم ، وذلك منكر كبير ، وإن حُب الأنصار من الإيمان ، وحب المهاجرين من الإيمان ، وبهم قام الدين وفتحت الفتوح ، وعنهم أُخِذَ العلم .

أحــدٌ بعــد الــنبيْ لــنْ يُعْــصَمَا .... (٨٧)

إمْــــرَةُ الأمّـــــةِ شـــــورى بَينَنَــــا

● القول بعصمة الأئمة وأنهم لا يقولون ولا يفعلون إلا حقاً كالأنبياء قول مبتدع ، ووجب النص على براءتنا من هذا الإعتقاد ، بل هي الشورى بين علماء المسلمين ونبلائهم .

مِيـــزةُ الإســـلامِ عَقـــلاً حَــــرَّرا .... (٨٨)

ذاكَ أزكـــــى في مـــوازينِ الثَّنـــا

● فميزة الدين الكبرى أنه حرّر العقل ، وتلك هي المنقبة والمعجزة التي تستحق الثناء والإعجاب ، وقد خُتمت النبوة ، وأصبحنا نملك ثروة من الأحاديث والسنن النبوية لا تحوجنا إلى اتباع أحد آخر يزعم العصمة لنفسه .

لا وَصـــيّاً أحمـــدُ قـــد تَرَكـــا .... (٨٩)

كيـــفَ إنّـــا بعـــدَ دَهْـــرٍ نأذَنـــا ؟

● كما أن النبي ﷺ مات ولم يستخلف أحداً ولم يوص بالخلافة لأحد ، بل تركها للشورى ، وتلك هي عقيدتنا التي تلقيناها عن سلف الأمة ، ويتأكد ذلك الآن أكثر لمرور القرون الطويلة .

سِـــيَّما مَـــن زَعَمـــوا خُفيتَـــهُ .... (٩٠)

لم يَخَـــفْ مَـــن أمْـــرُهُ قَـــد يَقِنـــا

● وعلى الاخص أنهم ينتظرون معصوماً اختفى منذ ألف سنة سيظهر ويحكم ، ويقولون إن سبب غيبته خوفه من أعدائه ، ويحوي هذا القول عوامل نقضه ، فإن أول صفات إمام المسلمين : الشجاعة والإقدام ، وإذا كان مؤيَّداً من الله تعالى وأمره وصل إلى درجة اليقين فلماذا يخاف ؟ وقولنا يقِنا : من اليقين وانتفاء الشك ، ويقال : يقِنَ الأمرَ إذا تحققه ... راجع القاموس / ١٧٩٤ .

عُمـــقُ فِقـــهٍ في التـــولّي شَـــرطُنا .... (٩١)

إنمـــا التفـــويضُ يَمْـــحُ الأيْمُنـــا

● وهذا رد أيضاً على نظرية ولاية الفقيه الجديدة ، وأننا الدعاة لا نعتقدها ، لأن فحواها : تفويض الفقيه أن يحكم ، ويقوم أمر السياسة الدينية عندنا على

الشورى وليس على تفويض أحد ، وأما الفقه فهو شرط فيمن نختاره للولاية ، وفي التجريب ومن علم حركة الحياة المتوارث أن تفويض فرد كائناً من كان : يزيل البركات والقوة ، وذلك معنى كلمة الأيـمُن ، كما في القاموس / ١٧٩٥ .

هـــي شـــورى مَنَعَـــتْ أن نُلْغِهـــا .... (٩٢)
حَكْـــرُ فَـــرْدٍ للـــسياساتِ عَنـــا

● هذا تأكيد لسبب إنكارنا ولاية الفقيه : أننا نعتقد الشورى ، واحتكار السلطة من فرد يجلب التعب والعَناء للأمة مهما بلغ فضله ، ويمنع نشوء طبقة قيادية تحتاجها الحضارة الإسلامية ، ويؤدي إلى خلاف في الأجيال اللاحقة .

وطريـــق الزهـــد سَـــهلٌ مَـــصْعَدُه .... (٩٣)
إن نَـــوى جَعـــلَ التُّقـــاةِ جُنَنَـــا

● وهذه بداية فصل جديد في القصيدة تنساب فيه المعاني انسياباً سلساً لتؤدي إلى خاتمة القول ، وأروع المعاني التي نحتاجها أن الزهد مهما كان صعباً ، لما فيه من الحرمان : غير أنه سهل على من يريد تقوى الله ويتخذها دِرْقة لحمايته من المخاطر .

جُننا : جمع جُنّة ، وهو ما استترت به من ضربات السلاح التي توجه إليك في الحرب ، كما في القاموس / ٣٠٢ ، ويمكن اشتقاق معنى آخر للبيت إذا رويناها بالفتح : جَنَنا ، أي الكفن ، أي يتكفن بتقواه ويودع جسمه داخل تقواه ، فتحرسه من ملامسة الحرام .

يُـــسْنِدُ الفـــضلَ لِـــربٍّ مُـــنْعِمٍ .... (٩٤)
عاقـــلٌ إنْ صـــاحتِ الـــنفسُ : أنـــا

● وعلامة الزاهد التقي : أنه لا يزعم لنفسه حولاً ولا قوة ، وإنما الفضل لله تعالى ينعم عليه بالعلم والأخلاق والعقل والحكمة والمعرفة ..

وعندما تستعر المنافسة الرخيصة بين طلاّب الدنيويات ، فتغفل نفسه لحظة فتصيح أيضاً : أنا : يسرع إلى كبتها .

مُنــــذرٌ في نَهيـــهِ لا يَـــستحي .... (٩٥)

يُرسِــلُ البـــشرى إذا اللاهِـــي انْثَـــنى

● وهو أثناء سيره ومحاولته وعظ الناس وتربيتهم يفرح جداً إذا رأى أحد اللاهين قد تاب ، وانثنى عن الغواية بسبب موعظته ، فيـبشره بالأجر ، ويبقى منذراً للعصاة دون حياء ، اقتداءاً بالبشير النذير ﷺ .

نحـــنُ جَمْـــعُ الحُـــبِّ في اللهِ لَنــــا .... (٩٦)

سُـــمْعَةٌ حُفَّـــتْ بأصـــلٍ زانَنــــا

● بهذا عرفنا أنفسنا ، وأننا دعوة الحبّ في الله ، وتطمئن قلوبنا كلما تذكرنا سمعتنا الحسنة بين الناس التي هي محض فضل من الله ، وكلما ذكر المنصفون أصلنا الطاهر الذي هو زينتنا ، ونحن جزء من أخيار الأمة ولا فخر .

كُلنـــا محــــضُ حـــلالٍ قُوتُـــهُ .... (٩٧)

سُـــحْقَ غِـــرٍّ مِـــن حـــرامٍ سَـــمِنا

● وللحفاظ على منزلتنا العالية هذه : صار حرصنا عظيما على أكل الحلال ما استطعنا ، فإنه العلاج الموصوف لصفاء القلوب ، وسُحقاً سحقاً للأغرار الذين يأكلون الحرام والربا والرشوة ويسلبون المستضعفين حقوقهم .

قَـــدْ أنَبْنـــا وكَرِهنـــا الـــصَخَبا .... (٩٨)
ووَعَيْنــــــا ووَأدْنــــــا الإحَنـــــا

● ونحن ماضون بحمد الله في هذا الدرب الإيماني المبارك ، وجعلنا الإنابة إلى الله تعالى شعارنا ، واخترنا هدوء المساجد والسكينة وخلوات التفكّر ، فوهبنا الله الوعي والفهم ، وملنا إلى دفن العداوات والجاهليات .

نُوسِـعُ الـــنفسَ عِتابــاً صــارِماً .... (٩٩)
كــي نــصوغَ الجَمْــعَ جَمْعــاً مُؤمِنــا

● والوسيلة الكبرى التي نستعملها لتحقيق ذلك : معاتبة النفس بشدة ، وتحقيق صفة : النفس اللوامة ، وبذلك تتم الصياغة الإيمانية للجماعة .

فاســتقامَ الــصَّفُّ وانــساب الرِّضــا .... (١٠٠)
في شُــعورٍ يَمــلأُ الــنفْسَ غِنــى

● ونجحت خطتنا التربوية هذه ، بدليل وجود الصفوف المستقيمة من الدعاة في كل بلاد العالم ، وتحققت صياغة نماذج فريدة غنية النفس ، ترضى عن الله مهما امتحنها بمصاعب ، ليرضى عنها ، فتفوز .

قـــد عَزَمْنـــا أنْ تقـــودَ الأُمَمـــا .... (١٠١)
أُمَّـــةٌ صَـــوغَ جِهـــادٍ مَعْـــدِنا

● هذا التأسيس الإيماني لقاعدة صلبة وصفوة إحسانية ضروري ، لأنه الخطوة الأولى في خطتنا الكبرى لنهضة الأمة الإسلامية من جديد لتقود الأمم الأخرى مستندة إلى مناقبها الجهادية عبر تاريخها الأبيض ومعدنها النقي .

دَعْ بَــــراهِيني تُنـــــاجي العُقَـــلا .... (١٠٢)

قُلَّـــــــــــبٌ أوْ دُوَلٌ أزمانُنـــــــــــا

● هذا عصر الإنفتاح العالمي والتواصل الأممي ، وفي المرحلة الجديدة لمسيرة الدعوة نريد لفكرنا الإسلامي أن يناجي عقلاء العالم ، بأن نترجمه لهم بلغاتهم لعلهم يفقهون ، ونعقد الندوات والمؤتمرات للخروج من حالة التوتر إلى التفاهم ، والإسلام دين الفطرة ، فمن المحتمل جداً أن تعتنقه الأمم الأخرى إذا قارنت سماحته بالاختلاطات الكثيرة في أديانها ، فهذه فرصة ونخاف أن ينقلب الزمان إلى حالة العدوان مرة أخرى فينقطع التفاهم .

والمجموعات الدعوية المهاجرة إلى الغرب والشرق بإمكانها إنجاز شيء في هذا المجال ، ومؤسسة " الدار العالمية للكتاب الإسلامي " في الرياض التي تتولى نشر وتوزيع الكتاب الإسلامي بسبعين لغة بإدارة الدكتور عبدالله التويجري بإمكانها إنجاز شيء مكمل ، وتوضع خطة شاملة لهذا العمل الجبار ، وعلى رأس مهامها : قناة فضائية فكرية عالية المستوى بأشهر اللغات ، وإنتاج جيل من المحاضرين على نمط الدكتور أحمد زكي في كندا يعرف كيف يخاطب غير المسلمين.

قــد جفــافُ الــروح يلقــى صَــدمةً .... (١٠٣)

تُرجِـــعُ الإيمــانَ مِـــن بَعــدِ الـــوَنَى

● وكل ذلك لأن جفاف الروح في الغرب والشرق ونمط استيلاء الماديات ربما بلغ مداه وظهرت آثاره المدمرة ، فمن المحتمل حدوث صدمة وردة فعل قوية ، تقود الناس إلى الإيمان من بعد الإبطاء والفتور وحياة المتاعب ، قال في القاموس / ١٧٨٢ : الونى : التعب والفترة .

كُــنْ صــريحاً يــا ابــن أشــراف الأُلى .... (١٠٤)

إبْتَكِــــرْ قـــولاً قَويّـــاً لَيِّنـــا

• فالآن وبعد سرد هذه المناقب وتقديم التقرير الشامل عن الدعوة ومنهجيتها : ندعوك أيها الأصيل ابن أشراف الناس إلى أن تكون صريحاً مع نفسك ومعنا ، وتحرص على الوصول إلى إبداعٍ في صياغة قولٍ جوابي لنا ، قويٍ في منطقه ، لَيّنٍ في ألفاظه ، يشجعنا ، ويتضمن الدعاء لنا ، ولن تتمكن من ذلك حتى تتخلص من أسر الإعلام العلماني أو المخابراتي الذي شوّه صورتنا وكذب علينا ، فتحكم برأيك الحر المستقل ، وتدع قلبك المطمئن بالإيمان يتكلم ، فإنك تحت رقابة ربّ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وسيسألك غداً : لم تأخرت عن نُصرة دعاة أرادوا نُصرة ديني؟ واحذر أن يتلعْثم في فمك الجواب .

يـــا ذكيـــاً طامحـــاً رامَ العُـــلا .... (١٠٥)
طَهِّـــرِ الحـــالَيْنِ وانْـــضَمَّ لَنـــا

• فيا أيها الذكي الطموح الذي يروم الوصول إلى معالي الأمور ، قم بتنقية حالك الظاهر وحالك الباطن ، واترك الوسوسة فإنها من إلقاء الشيطان ، وبادر إلى الإنضمام لنا ، والاكتيال من أجر الدعوة إلى الله ، تغنم ويطرح الله فيك البركة .

نحـــنُ نَـــدعوكَ لِفِكـــرٍ وَسَـــطٍ .... (١٠٦)
قُـمْ فـصافح ، وانطَلِـقْ : هَيّـا بِنـا

• نحن لا ندعوك إلى تنطعاتٍ وأقوالٍ شاذة وبدع وغلواء ، بل ندعوك إلى فكر وسطي تؤيده شواهد جمهور الفقهاء ، وستجد عندنا رحمة وحكمة ..

فاجزم ، وانهض ..

ومُدّ كفك لمصافحة خيرية ، لننطلق معاً في مسار الإيمان بلا عوائق ..

نصنع الحياة .. ونفهم حركتها ...

ونجاهد ...

ونصلح الخلل ...

عسى الله يرضى عنا ...

هيا بنا ... هيا .... هيا .

تمتْ . . وَبالخيرِ عَمّتْ ❑❑❑

محمد أحمد الراشد

